الكوناكس يتدلى من وسطه حتى قدميه . ولكن مما يؤسف له ان اجمل ما في هذا التمثال قد بُتر فكان جسمين بلا رأسين . ولا شك ان هذه القطع من اجمل ما توصل اليه الفن السومري . ومما لا ريب فيه ان تمثال هذين الشخصين كان قد قدم للالهة عشتروت بصفتها الهة الحب .

اما ما كان من غير التماثيل فقد وجد ايضاً في المعابد المذكورة شيء كثير من مصنوعات الصفد الممثلة للسماك والنسور وغيرها من الحيوانات . وهناك ايضاً قطع كثيرة لكؤوس واوانٍ كانت هي كذلك موضوع التقدمة للالهة . فكان نصيب كل هذه الاواني الجميلة ما اصاب التماثيل نفسها من التكسير والتشويه. غير ان البعثة قد اهتدت اخيراً الى قطعة تعد من التحف النادرة وهي ترصيع صورة كبيرة من عرق اللؤلؤ تمثل انتهاء معركة قد تكون من بين تلك المعارك التي حدثت قديماً بين الاموريين الساميين سكان ماري والسومريين اهل الجنوب . والفن في هذه القطعة عليه آثار الفن السومري . وهذه صورة تمثل ملكاً وحوله الوزراء وقد تقدم نحوه حامل العلم . اما العلم فهو بصورة ثور بديع الصنع ووراءه العساكر الماريون تسوق اليه الاسرى والمسجونين وهم مكتوفو الايدي عارون الجسم يتقدمهم احدهم فيركع امام الملك يطلب منه الصفح والعفو بينما الباقون يتبعونه .

(لها تابع)

عطف الالهة عن المقدمين ويأفل نجم اقبالهم . وبعد ما شوه الفاتحون ما شوهوا من التماثيل نهبوا كل ما رأوه في المعبد ذا قيمة وشأن . واذا كان الفاتحون البابليون لم يحملوا معهم هذه التماثيل الى بلادهم فلانهم ازدروا بها بعد تشويهها واعتبروها لا قيمة لها. وهذه التماثيل متنوعة فمنها ما يمثل رجلاً . وكثيراً ما يكون هذا الرجل محلوق الرأس ما عدى « لميمي ماري » وبعضهم بلا لحية وبعضهم بلحية كبيرة واكثرهم عراة الصدر وهم بلباس الكوناكس الذي ينحدر من الخصر الى الرجل التي تكون دائماً عارية وغيرها من التماثيل تمثل نساءً : بعضهن قاعدات على مقاعد وبأيديهن عروق النخل ، وغيرهن واقفات وقفة الخضوع والخشوع ، ومنهن من يرتدين الكوناكس او ثوباً آخر مكوناً من قطعة واحدة تلبس الجسم من الرأس الى القدم لكن ارجل النساء تبقى دائماً عارية كارجل الرجال وعلى رؤوسهن قبعة مخروطة كتاج كبير عال تنسدل من حولها ضفائر الشعر المتساقط حول رقابهن .

وان اجمل ما وجد هناك قطعة تمثل رجلاً وامرأة جالسين جنباً لجنب على مقعد كبير وقد انعطفت المرأة على الرجل ورمت برأسها على كتفه فزعةً ، وهو ، كالمحامي النصير ، يلقي بيده اليمنى على ظهرها بينما كانت يسراه تمسك بيمينها . والمرأة ارتدت لباس الكوناكس فظل كتفها الايمن عارياً بينما كان الثوب ينحدر من الكتف الايسر فيبلغ الى رجلها. اما الرجل فكان هنا ايضاً كما في سائر التماثيل عاري النصف الاعلى من جسمه بينما كان

مايري . كبير اساكو انليل . تمثاله الى عشتروت قدمه » والتمثال الثاني يمثل رجلاً مكتوف الايدي عاري الصدر نقشت على ظهره الكتابة الآتيـة : « ايدي ناروم ال ... الى عشتروت قدمه » وكم اسفنا لفقدان الجزء الاسفل لهذا التمثال الذي يعد دون مغالاة من اجمل ما ابرزه النحت السومري فناً ودقةً فضلاً عن ان مادته اخـذت من الحجر الصوان الاحمر الصلب الذي يقوى على معاندة الاجيال ومجابهـة عوارض الزمن . اما التمثال الثالث فهو كالثاني صنعاً وفناً يمثل رجلاً مكتوف الايدي نقشت على ظهره العبارة التالية : « تمثال لأبيه ايل الوكيل ـ الى عشتروت قدم التمثال » وربما لم يغرب عن ذهن القارئ من الكتابات التي ذكرناها ان هذه التماثيل وغيرها من التي التقطتها البعثة في تلك البقعة كانت منصوبة في معبد الالهة عشتروت كتقدمة لها تقوم لدى الالهة بتمثيل من قدمها وهم بموقف الخضوع والعبادة والصلاة.

لكن هذه التماثيل المتشابهة من حيث الرمز والمعنى والمتقاربة من حيث الادلاء بعاطفة واحدة فانها لا ترتقي الى عهد واحـد بل هي وليدة عصور مختلفة متباينة اذ انها وجدت في كلٍّ من المعابد الثلاثة المشيد الواحد منها فوق الآخر . فالمعبد الاول يرجع عهده الى ٣٠٠٠ سنـة قبل المسيح . وقد هدم عندما اغار ابيانادو على بلدة مايري فاخـذها وخربها وذلك نحو سنة ٢٨٥٠ قبل المسيح والاخير بني نحو سنة ١٣٥٠ قبل المسيح وقد خربه حامورابي عندما اخذ المدينة ودمرها نحو سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح . وقد شوّه الفاتحون عمداً كل التماثيل التي وقعوا عليها لانهم بذلك يمحون كل اثر للتقدمة فيتحول

في مكان قد تم حفره وانتهى التنقيب فيه لكيلا ترجع بهم خطة العمل وضرورة التنقيب الى حفر امكنة قد تكردس فوقها التراب الذي القوه عليها من الحفريات المجاورة اما ما عثروا عليه في الوادي فلا يتعدى بعض بنايات صغيرة يرتقي عهدها الى التطور الثاني قبل المسيح وتحتها بنايات غيرها يرجع عهدها الى التطور الثالث والرابع قبل المسيح . ولم يجدوا في هذه البنايات سوى فخار كان يستعمل كأوانٍ بيتية وقليلاً من الصفد الذي كان يستعمل لوضع الكحل لزينة الوجه والعينين .

ثم رجعوا الى التل واخذوا بالحفر في القسم الذي وقع عليه اختيارهم فلم يطل بهم الامر حتى اتاهم احد العملة بقطعة تمثال صغير ثم اخذت بعده تتوارد عليهم الاكتشافات المختلفة حتى كان المساء وقد تجمع لديهم الشيء الكثير من اشباه هذه التماثيل الصغيرة واكثرها قد تكسر او فقد بعض اقسامه . وراجعوا الكرة ثاني يوم فوقعوا على تماثيل اخرى ومنها اربعة كاملة وثلاثة عليها كتابات على كتفها او في ظهرها واحدها عليه كتابة تدل على اسم البلد القديم وهو « مايري »

فأول هذه التماثيل الثلاثة يمثل ملكاً مرتدياً الثياب السومرية المعروفة بالكوناكس (Kaunakès) وهي مركبة من جلود الغنم وقد ضُفر صوفها بصورة فنية والملك واقف مندفع قليلاً الى الامام كمن يريد ان يتقدم ماشياً ويداه مضمومتان بهيئة تدل على العبادة والتخشع وترمز الى الصلاة. وهاك ترجمة الكتابة المحفورة على كتفه باللغة الاكادية : « لامكي مايري . ملك

من الفرع العلمي لمتحف اللوفر طلب فيها منحه الامتياز بالتنقيب . فكان له ما طلب بعد ان اطلعه المسيو سيريغ على شروط الحفر في سوريا . ثم تألفت بعثة افرنسية برئاسة المسيو پارو Parrot قوامها السادة بيانكي وتيلليه والمهندس فرانسوا والترجمان متى .

وفي منتصف كانون الثاني ابتدأ الاثريون الحفر في التل. ومن البديهي ان يُبدأ بالتنقيب في موضع اكتشاف التمثال . وهكذا كان . فلم يلبثوا ان عثروا على جزء من بناء كان ولا شك معبداً للاله شمش نفسه . اما بقية اجزاء البناء فقد تلاشت بتكوين التل ومساواته. لكنهم وجدوا في الاراضي التي يرجح ان فيها قامت تلك الاجزاء المضمحلة اذناً ذهبية كانت — ولا ريب — تزين وجه تمثال ذهبي وكذلك وجدوا اعيناً كبيرة مما يدل على ان هناك عدداً من التماثيل الكبيرة لم يبقَ لها من أثر ويا للاسف الا هذه الاعين. ثم تابعوا الحفر معمقين حتى انتهوا الى اساسات هي لمعبد ثانٍ قام تحت الاول وهو على طراز الابنية التي شيدت في اوائل التطور الثالث قبل المسيح .

وقد وجدوا ايضاً بالقرب من هذا المكان تمثالاً من الجص يمثل رجلاً ماسكاً بيديه المكتوفتين على صدره حيواناً ربما كان خاروف التقدمة غير ان هذا التمثال لم يكن بدقيق النحت كالتماثيل السومرية التي تأثر منها .

ثم تركوا محل الحفر على التل بعد ان تكونت لهم فكرة واضحة عن امكنة الآثار وغنى المدينة السالفة بها . فانتقلوا بالحفر الى الوادي حيث اخذوا ينقبون في دائرة واسعة وقصدهم من ذلك ان يتمكنوا من وضع تراب

واطلعوا الليوتنان على اكتشافهم فبادر بصحبة السيد البير ارسان الى التل وقصد توّاً مكان الاكتشاف فاذا به امام تمثال رجل بلا رأس مكتوف الايدي على بطنه كتابة شبيهة بالكتابات المسمارية . وأمر الليوتنان فاخرج التمثال وحمل الى ابي كمال . ولم يكتفِ بذلك بل اقام حارساً على التل ليمنع كل تنقيب فيه ثم اخبر المفوضية العليا بما كان فاوعز مدير الآثار فيها المسيو سيريغ الى المسيو بلوا دي روترو مفتش الآثار في سوريا الشمالية بالذهاب الى محل الاكتشاف فذهبت بصحبته وزرنا التل وعند رجوعنا الى حلب كتب المسيو بلوا دي روترو تقريراً ارسله الى بيروت .

اما التمثال فقد نقل اولاً الى دير الزور ومنها الى حلب حيث هو الان في متحف المدينة وهو يمثل إلاه الشمس صاعداً من الجبال لينير العالم وهذا تفسير الكتابة التي على بطنه كما قرأها المسيو تورو دانجان Thureau-Dangin العالم الافرنسي الكبير: يشماه - عدد كاهن انليل ابن شمسي - عدد الى شمش مولاه ... داخل المعبد ... الذي يحبه قدمه . والذي يمحي اسمي المكتوب ويكتب اسمه فشمش مولاي يقلع دعائمه ويمحي نسله .

فما قرأنا يتضح لنا ان رجلاً ولربما كان ملكاً يدعى يشماه - عدد ابن ملك ثاني شمسي - عدد كاهن الاله انليل قدم هذا التمثال الى الاله شمش اي الشمس ووضعه داخل معبده وتختم هذه الكتابة باللعنة المعروفة في الازمان الغابرة اي بموت الانسان الذي يمحي اسم الواقف ويضع اسمه الخاص كما وبقرض نسله.

وما كاد يذيع خبر هذا الاكتشاف في عالم الآثار حتى وردت برقية

تل حريري

بقلم السيد صبحي صواف

يقع تل حريري قرب ابي كمال على الحدود العراقية على مقربة من الفرات ولربما كان هذا التل قديماً على ضفاف الفرات نفسه. وهو تل كسائر التلال المنتشرة بكثرة في سوريا الشمالية ذو ارتفاع زهيد بخلاف تل مدكوك المجاور له فان ارتفاعه يلفت لاول وهلة انظار جميع الاثريين الذين يؤمون هذه الجهات للبحث والتنقيب فيها . وربما كان ذلك سبب اهمال الاثريين لذلك التل فلم يذكره منهم غير الاثري البرايت Albright وقد زار تلك المنطقة سنة ١٩٢٥ ونشر دروساً قيمة شاملة عن تلالها. اما ارتفاع هذا التل عن سطح الارض فلا يتعدى العشرة امتار في بعض الاماكن بينما طوله يمتد تقريباً على مسافة تسعمائة متر .

ففي منتصف شهر آب رأى الليوتنان كبان Cabane ضابط المصالح الخاصة في ابي كمال اثنين من العرب قادمين اليه يسألانه عما يجب عمله بالرجل الذي وجداه في تل حريري . فبهت الليوتنان من سؤالهما واذ استوضحهما جلية الامر ذكرا له الحادثة التالية : وهي ان بعض العربان بينما كانوا يحفرون في تل حريري ليستخرجوا بعض قطع الحجارة الكبيرة لوضعها كشاهدات على قبر احدهم وكان قد توفي منذ يوم — وذلك شأنهم في كل وفاة — عثروا في اثناء البحث على قطعة حجر كبيرة الحجم ثقيلة الوزن . ولما نزعوا عنها ما علق بها من التراب ظهرت لهم صنم بهيأة رجل مكتوف الايدي. فاسرعوا

ان سلسلة المحاضرات القيمة التي دعوتم نخبة رجال العلم والفضل في البلاد الى القائها في مختلف اماكن هذه البلدة الاثرية والتي خطونا بها خطوة واسعة نحو غايتنا المنشودة ألا وهي نشر الثقافة العربية النفيسة واذاعة محاسن البلاد ومفاخرها ليطلع عليها الخاصة والعامة، فتكون لهما خير حافز للاقتداء بالجدود الاكارم، كل ذلك نذكره لمعاليكم باصدق عواطف الشكر والثناء.

ثم ان الجلسات التي عقدناها تحت اشرافكم فأدرتم فيها بحكمتكم الشهيرة مناقشاتنا، كانت ساعات طيبة لن يزول اثرها العميق في الفؤاد. فقد القيتم علينا فيها دروساً ثمينة عالية في المزايا الجميلة التي تجلت في علمكم الوافر وعقلكم الراجح وذكائكم النادر وصدركم الواسع وادبكم الجم، مناقب ومحامد اهلتكم الى احراز ثقة البلاد قاطبة واشغال اعظم مناصبها في ادق اوقاتها واحرجها. فلا عجب اذا خفق فؤادنا فرحاً وحبوراً ولا غرو اذا تمايلت اعطافنا كبراً وخيلاء، فانتم عزنا وفخرنا.

واذا كان لنا من امنية نبسطها لديكم بكل دالة في هذا الاجتماع العائلي الذي نعده حسنة من حسنات الزمان القليلة فهي ان تظل جمعيتنا مشمولة بالتفات معاليكم لتتمكن من تأدية ما عليها لنهضة البلاد تحت رعاية حكومتها الوطنية المتهالكة في استقلالها والذود عن حياضها.

وفقكم الله واياها الى ان تنهضوا بهذه الامة الكريمة الى مستوى اعظم الامم حضارة وعمراناً وذلل امامكم كل عقبة لتتمكنوا من ان تعيدوا اليها عصورها الزاهرة، عصور العباسيين والحمدانيين وغيرهم وما ذلك بكثير، يا سيدي الوزير، على اخلاصكم الشهير.

احتفاء جمعية العاديات

برئيسها الوزير الكيالى

— كلمة حضرة الخور اسقف اغناطيوس سعد صاحب مجلة الشهباء —

اقامت جمعية العاديات في ٢٨ ك٢ سنة ١٩٣٧ في قاعة المتحف الوطني مأدبة عشاء على شرف رئيسها معالي الدكتور عبدالرحمان بك الكيالي وزير العدل والمعارف. وقد تصدر المأدبة المحتفى به يحيط به سعادة المندوب المسيو دافيد وسعادة المحافظ نبية بك المارتيني والنائب العام بحلب يوسف بك روكس ومدير العدلية سامي بك العظم ورئيس مصلحة المعارف في المحافظة حكمت بك الحراكي وغيرهم مع الهيأة الادارية للجمعية وقد القى اثناء المأدبة حضرة الخور اسقف اغناطيوس سعد صاحب مجلة الشهباء كلمة في المحتفى به ثم تلاه المسيو بوش رئيس الجمعية الثاني بخطاب افرنسي واخيراً لفظ معالي الوزير خطاباً فاض به شعوراً واخلاصاً اتى فيه على تعداد ما ينويه من اصلاح ورقي واعداد الجمعية بتأييده لها للقيام باعباء مهمتها. وبعد العشاء لبث المدعوون في سمر مفيد شائق مع معالي الوزير ثم انفرط عقدهم يلهجون بفضائله. كلمة صاحب مجلة الشهباء:

سيدي الرئيس

شرفني زملائي الكرام اعضاء جمعية العاديات بان القي كلمة في هذه المأدبة العائلية التي تلطفتم ولبيتم دعوتنا لمعاليكم اليها بالرغم من مشاغلكم الخطيرة العديدة في وزارتي العدل والمعارف. وانه لعظيم هذا الشرف الذي قلدوني اياه ولست محاولاً للقيام باعبائه الاشادة بصنائعكم والتنويه بمناقبكم فلكم نبلكم الموروث اباً عن اب وجداً عن جد كابراً عن كابر كالرمح انبوباً على انبوب كما لكم ايضاً نبوغكم المعروف الذي لا تخفى آثاره الرائعة على كل ذي عينين بصير. ولكن اسمحوا لي ان اقول كلمة واحدة في جهادكم المثمر في سبيل نهضة جمعيتنا واعلاء منارها، اثناء المدة الوجيزة التي ظفرنا فيها بشرف ترؤسكم علينا.

ورفيقته الالهة زاربانيتوم ولكن من الغريب لم يأخذ هذين التمثالين لبلاده بل تركها في بلاد الحانة التي كان يقطنها شعب من الآموريين ولربما فعل ذلك لكي يكافىء هذه البلاد على المساعدة التي ادتها له ولجيوشه حينما مرّ بها اثناء زحفه على بابيلون (١) ثم رجع الى بلاده دون ان يترك بيده من المدن التي افتتحها سوى حلب وسوريا الشمالية وبقيت هذه المنطقة تحت نير الحثيين الى نحو سنة ١٦٥٠ قبل المسيح . ومن هذا العهد الى مدة مائتي سنة تقريباً لا يعرف شيئاً عن الحثيين لانهم بلغوا درجة من الانحطاط والخمول جعلت جميع البلاد الخاضعة لهم ان تخلع عنها نيرهم في هذه الحقبة من الزمن لا يمكننا ان نعرف شيئاً عن حلب وما صارت اليه الا من تتبع حركة زحف وانتشار الميتانيين واخيراً المصريين في هذه الديار .

« يتبع »

---

(١) عندما تسلّط الكاسيون على بابيلون كان اول من ملك من هذه السلالة كاندش وقد رمم معبد الاله مردوك الذي كان خالياً من تمثال الاله وبعد تسلط بعض ملوك هذه السلاله تمكن اكوم كاكريمه احد هولاء الملوك من الحصول على الالهة فاسترجعها بابتهاج شعبي عظيم الى معبدها الذي كان مجملاً ومرصعاً بالحلي والذهب والاخشاب النادرة .

الاستيلاء عليها ايضاً .

على ان جلّ ما توصل الى الاستيلاء عليه كان مدناً صغيرة ضعيفة وكذلك القبائل التي حاربها فانها كانت منفردة متضعضعة فكانت حلب اول مدينة عظيمة وقفت في طريقه وكانت عاصمة لملك تحت سلطته بلاد غنية واسعة . فتوصل اليها حاتوسيل وحاصرها . ولكنه فشل امام اسوارها المتينة المنيعة وجرح ولربما مات متأثراً من جراحه اذ اننا نسمع خلفه الثاني مورسيل الاول يقول بعد اخذه البلدة وتدميرها : انا انتقم لدم ابيه (١) .

فبعد فشل حاتوسيل تخلى الحثيون عن حلب ورجعوا عنها خائبين ولا نسمع شيئاً عن خلف حاتوسيل لانه لم يمكث على العرش الحثي الا الوقت القليل ثم خلفه مورسيل الاول فكان اول ما قام به انه استعد للقتال فنظم الجيوش الجرارة وسار بها يريد حلب وما لبث ان استولى عليها فكان انتصاره قاسياً شديداً اذ هدم اسوارها ودمرها ونصب اموالها وسبى كثيراً من اهاليها وارسلهم غنيمة لحاتوشاه . وكان ذلك نحو سنة ١٨٢٠ قبل المسيح ولم يتوقف مورسيل عند هذا الانتصار بل واصل زحفه كالسيل الجارف فعبر الفرات واستولى على بابيلون البلدة العظيمة التي زينها حامورابي ٢٠٠٣ــ١٩٦١ اعظم ملك من السلالة الاولى البابلية (٢٨١٥ــ٢٩٠٥) فخرّبها ايضاً وفعل بها ما فعل بحلب فنهب اموالها وسبى اهاليها وارسلهم لحاتوشاه . ومما اخذه من بابلون تمثالين لكبار الالهة البابلية الاله مردوك

(١) ديلابورت Delaporte ــ الحثيون ١٩٣٦

ما آتيه كانت تدور حول حاتوشاه (١) والاناضول . فلكي نجد شيئاً عن
لب ونقترب من اوائل تاريخها لا بدّ لنا من تتبع حياة الحثيين في جميع
لوارها وتقلباتها . فالمملكة الحثية تبدو لنا في اول عهدها مملكة صغيرة
قيرة كسائر الممالك الاناضولية مثل اللوفى والكزوندا والملوندا الخ . ثم
دأ بالظهور فتقوى شوكتها وتتوطد دعائمها في عهد ملكها برصاما الذي
حّد قبائلها وبسط عليها سيطرته القوية . وخلفه لابرناش فأكمل عمله وتقدم
تقدماً عظيماً واوصله الى درجة جعل معها المملكة الحثية ثابتة الاركان
سخة البنيان . فاتخذ له بلدة حاتوشاه عاصمة لملكه ومنها اخذ بالزحف على
لاد المجاورة ليوسّع بالاستيلاء عليها ملكه . وكان ينصب في كل بلدة
تولى عليها احد ابنائه حاكماً عليها . فصار اسم لابرناش عنوان المجد والبطش
لقوة . واخذ من بعده جميع الملوك الحثيين يضعون امام اسمائهم اسم
برناش كما فعل الرومان بعدئذ اذ جعلوا اسم قيصر اسماً شاملاً لكل
وكهم . وبعد موت لابرناش قام ابنه حاتوسيل فسار على منوال ابيه في
طيد المملكة وادارة شؤونها وتعزيز مقامها فاستطاع ان يوسع تخوم بلاده
بئاً فشيئاً حتى وصل بها الى سوريا العليا حيث توجد بلدة حلب فحاول

---

(١) حاتوشاه (بوغاز كوي الحالية) على ضفاف نهر كزيل ارماك اول
، دل عليها وذلك في سنة ١٨٩٣ الاستاذان شانتر Chantre وبواسيه
Boissi وفي سنة ١٩٠٥ اخذ الاستاذ فانكلر Wankler الالماني يساعده
كردي بك بالتنقيب فيها فاستحصل على ٢٥٠٠ لوحة تقريباً عرفت بحاتوشاه
عمة الحثيين وبجزء كبير من اعمال هذا الشعب .

الاخشاب ثم صعدوا الى حلب ومنها الى اوكاريت « رأس شمرا » (١) وبعدها الى كانس (٢) في الاناضول فمجرد ذكر هذه البلاد في رحلة تجارية مثل هذه تدل على اهمية هذه المراكز وعظمة تجارتها . ومن هنا نستنتج ان حلب كانت محطاً لجميع القوافل التي كانت تقصدها من جميع الانحاء وكانت الممر الطبيعي بين بلاد ما بين النهرين وجنوبي سوريا ومصر والاناضول . فكان هؤلاء التجار يأتونها ليبتاعوا منها محصولات الاناضول وهي المواد الاولية التي كانت تنقص بلادهم .

بقي الآن علينا ان ندخل في محتوى تاريخ البلدة وهو منقول عن اللوحات الحثية ولا بد لنا ان نأخذ تاريخ البلدة السامية عن تاريخ الحثيين وهم اريي الاصل من اتباعنا التاريخ الحثي يسهل علينا الاهتداء الى تاريخ حلب ونكاد لا نجد ذكراً لحلب في ابتداء التاريخ الحثي لان كل حياة هذا الشعب واعماله

---

(١) اوكاريت (رأس شمرا الحالية) كانت ميناء تجارية على البحر المتوسط تبعد عن اللاذقية مسافة ١٣ كيلومتراً شمالا وكان لها علاقات تجارية عظيمة مع مصر وبلاد ما بين النهرين ينقب فيها الآن بعثة افرنسية تحت ادارة المسيو شافير Schaeffer وقد وجدوا فيها عدة لوحات مكتوبة بلغة اكادية ذات شأن عظيم من الوجهة الاثرية .

(٢) كانس (كلتبه الحالية في كبدوكيا بالقرب من قيصرية) كانت قاعدة للتجار الساميين الذين كانوا يقطنون الاناضول فوجد فيها الاستاذ هروسني Hrozny عدة لوحات تدل على عظمة تجارتها وانتشار تجارها .

ملك الاكاديين ، وهو ملك سامي الاصل فهبّ سرغون لنجدتهم وسار الى الاناضول بجيوشه فحاصر بورساهنده وافتتحها وتغلب على مليكها وما قفل راجعاً الى بلاده من هذه الغزوة الظافرة حتى فرض على ملكها الجزية واستحصل للساميين القاطنين بلاده الحرية والامان . غير ان الحالة لم تدم على هذا المنوال طويلاً . لاننا نرى خلفه الثالث نارمسين (٢٥٩١ ـ ٢٦٤٦) يزحف بدوره على الاناضول بعد خمس وعشرين سنة ، ليجابه محالفة قامت بين سبعة عشر مليكاً احدهم مليك بورساهنده . كما نرى ايضاً لاول مرة في التاريخ اسم ملك حثي ، هو الملك بامبا ، فيتغلب على هؤلاء الملوك ويقوم بما قام به قبله سرغون ثم يقفل راجعاً الى بلاده . فيتضح جلياً ان اللوحات الاكادية لا تذكر شيئاً عن حلب . او يكون ذلك لان حلب بلدة سامية فتحت ابوابها سلماً للغزاة الساميين فلم يذكروا عنها شيئاً ؟ وعلى كل فان اول مرة اتى بها ذكر حلب في التاريخ كان نحو سنة ٢٢٠٠ قبل المسيح وذلك في اللوحات التي وجدت مؤخراً في قصر ماري « تل حريري » (١) وفيها نقرأ ان تجاراً ماريين ساروا الى كار كميش (جرابلس) ليبتاعوا منها

---

(١) ماري (تل حريري الحالية) بالقرب من ابو كمال على حدود العراق . نقب فيها الآن بعثة افرنسية عن الآثار تحت ادارة المسيو پارو Parrot وقد عثرت مؤخراً على موقع القصر الذي يحوي ٢٢٨ غرفة ودور . وقد وجد في بعض الغرف ما ينوف عن عشرين الفاً من اللوحات المسمارية . وما هذه اللوحات سوى مراسلات ديبلوماسية وتجارية منها ما كان بين حمورابي البابلي وزمريليم احد ملوك ماري .

اقدم ما عرف عن تاريخ حلب

بقلم السيد صبحي صواف

عرفت حلب في منتصف التطور الثالث باسم حَلَّبَ وهو اسم سامي يقرب من اسم حلب الحالي . وكان الحيثيون يسمونها حلبس. وكانت وقتئذ بلدة عظيمة ذات تجارة واسعة ومكانة وشأن . ويتعذر علينا ان ننقب عن اوائل نشأتها اذ ان منبتها يضيع في ليل العصور الغابرة ومن الغريب ان سرغون الاكادي (٢٦٧١ — ٢٧٢٥) لم يذكر شيئاً عنها حينما زحف بجيوشه من بلاد سومر الى الاناضول وذلك لمساعدة الساميين الذين كانوا يقطنون الاناضول لتعاطي التجارة . فكانت ملوك هذه البلاد من الاسيويين سكان هذه الديار وكانت البلاد منقسمة الى ممالك عديدة يلتف حول كل مملكة منها من ينتمي اليها من الرعايا وكانت بعض المستعمرات السامية تعيش مزدهرة بين ظهراني هولاء الاسيويين تحت رعاية وحماية هولاء الملوك ، وكانوا يتعاطون التجارة بين هذه البلاد الغنية بالاخشاب ومحاصيل المناجم كالفضة والنحاس وغيرها وبين البلاد الواقية كبلاد البابليين والسومريين والمصريين . فكانوا اداة صلة وعامل تمدن بين كل هذه البلاد وقام يوماً احد هؤلاء الملوك وهو نور دكن مليك « بورساهنده » يضطهد التجار الساميين ويعاكسهم منكلاً بهم وكان هذا الملك ، كما يدل اسمه ، ينتسب الى اله الخصب دكن . وكان يسمى نور هذا الاله . فاستنجد الساميون

وداخل السور بقية من جدار قصر الرشيد وقد اخبرنا ان ما كان فيه من الحجارة نقل الى بعض ابنية الحكومة ونبئس العمل فان حفظ مثل هـذا الأثر العظيم كان من المتحتم على الحكومة . ولما كنا هنـاك جاءنا يسعى الاستاذ الفاضل الشيخ مصطفى النعساني مفتي الرقة ووكيل القائمقام بهـا وقتئذ وهو شاب فاضل مهذب وظل مرافقاً لنا هو والسيد احمد العبد الله الى ان عدنا الى الشاطىء فودعانا الى الضيعة الاخرى فشكراً لهما على حسن صنيعهما ثم اقلتنا السيارات الى الشهباء وكان ذلك خاتمة المطاف .

وعجبنا ايضاً كيف ان المجلس البلدي لا يقوم بمد اقنية من الفرات الى البلدة وتوزع الماء في الشوارع والمساكن بعد تصفيته وتطهيره وتريح اهل الرقة من عناء الاستقاء وتسقيهم ماء زلالاً .

ولما دخلنا البلدة استقبلنا اهلوها بكل حفاوة على عدم معرفتنا بهم ونخص بالذكر منهم السيد احمد العبدالله احد وجهائها . وبعد ان استرحنا قليلاً ركبنا سيارات احضرت لنا وسرنا نحو الشرق من الرقة الى الرقة القديمة فرأينا باباً عظيماً مرتفعاً في الهواء مبنياً من الطوب الاحمر سمحت الايام ببقائه ويظهر انه من عهد الرشيد او ابيه المهدى وذكر لنا انه يسمى باب حلب . ثم سرنا بضع دقائق فوصلنا الى باب آخر مثله آثار العظمة والزخرفة والمتانة بادية عليه ايضاً وذكر لنا انه يدعى باب بغداد ومن هناك اخذنا في السير داخل اسوار الرقة وابراجها وهي محيطه بالرقة القديمة التي كانت تدعى الرافقة وهي خالية خاوية وفيها حفر كثيرة يتلو بعضها بعضاً حفرت للتنقيب فيها عن الآثار القديمة وقد استخرج منها من سنين الى الآن الشيء الكثير من الاواني الخزفية والجرار وغير ذلك . وهناك مسجد عظيم لم يبق منه سوى جدار القبلية الشمالي المطل على الصحن وعلى ذلك الجدار كتابة تفيد ان قبلية الجامع مبنية من احدى عشرة قنطرة وهي على نسق قناطر الجامع الكبير بحلب وتفيد تلك الكتابة انها من آثار زنكي والد نور الدين الشهيد ولم نتمكن من قراءتها كلها لارتفاعها ولضيق الوقت وفي شمالي الصحن منارة عظيمة تقارب منارة جامع مسكنه ويظهر انها بنيت مع بناء ذلك الجامع

عمارتها . قال احمد بن يحيى لما كانت سنة ١٨٣ امر الرشيد ببناء الهارونية بالثغر فبنيت وشحنت بالمقاتلة ومن نزع اليها من المطوعة ونسبت اليه ويقال انه بناها في خلافة ابيه المهدي وتمت في ايام ابنه .

ساعة في الرقة وحالة قصر الرشيد فيها

لما وصلنا الرقة حملنا قاربان صعدا للمرور الى الضفة الاخرى الشمالية وبين الشاطئ والبلدة نحو ٨٠٠ متراً اجتزناها مشاة اذ لا يوجد عجلات او سيارات تقضي هناك لعدم العلم بوقت مجيء الناس . والتراب ناعم تغوص فيه الاقدام ونالنا بذلك مشقة عظمى من ذلك التراب ولا ريب ان المارة ينالهم اشد العناء من ذلك خصوصاً في فصل الشتاء والربيع .

وقصاد الرقة لا يحصون كثرة وتجارتها لا بأس بها ويلتحق بها قرى كثيرة وواردات البلدية فيها وافرة بالنسبة اليها فكيف تبقى هذه المسافة الوجيزة بدون اصلاح ليسير الناس والحيوانات والعجلات بدون مشقة وعناء . وعسى ان تسمع هناك هذا النداء فتبادر الى اصلاح هذا الطريق وتعبيده وغرس الاشجار في طرفيه فتكون قد احسنت الصنع لهذه البلدة الطيبة وقامت بالواجب عليها .

وشرب اهل الرقة من ماء الفرات بواسطة قرب وغير ذلك تحمل على الدواب فيضعون الماء في الخوابي الى ان يصفوا بالجملة فيشربونه وهذا فيه من المشقة ما فيه وما احرى اهل الرقة بقول الشاعر :

فيا عطشي وهذا الماء يجري ويا شوقي وهو مني قريب

ولا تقضت بك الدنيا ولا برحت . يطوي بك الدهر اياماً وتطويها
ليهنك الفتح والايام مقبلة اليك بالنصر معقوداً نواصيها
امست هرقلة تهوي من جوانبها وناصر الله والاسلام يرميها
ملكتها وقتلت الناكثين بها بنصر من يملك الدنيا وما فيها
ما روعي الدين والدنيا على قدم بمثل هارون راعية وراعيها

فامر له بعشرة آلاف دينار وقال لا ينشدني احد بعده بشيء فقال اشجع والله لأمره الاّ ينشده احد من بعدي احب اليّ من صلة .

وكان في السبي الذي سبي من هرقلة ابنة بطريقها وكانت ذات حسن وجمال فصادفت منه محلاً عظيماً فنقلها معه الى الرقة وبنى لها حصناً بين الرافقة وبالس على الفرات وسماه هرقلة يحكى بذلك هرقلة التي ببلاد الروم وبقي الحصن عامراً مدة حتى خرب وآثاره الى وقتنا هذا باقية وفيه آثار عمارة وابنية عجيبة وهو قرب صفين من الجانب الغربي .

وقال ياقوت في الكلام على النيل . والنيل ايضاً نهر من انهار الرقة حفره الرشيد على ضفة نيل الرقة والبليخ وديرزكي ولذلك قال الصنوبري :

كأن عناق نهري ديرزكيّ اذ اعتنقا عناق متيمين
وقت ذاك البليخ يد الليالي وذاك النيل من متجاورين

وقال في الكلام على هارونية . مدينة صغيرة قرب مرعش بالثغور الشامية في طرف جبل اللكام استحدثها هارون الرشيد وعليها سوران وابواب حديد ثم خربها الروم فارسل سيف الدولة غلامه قرعويه فاعاد

وشوارعها وسوّر سورها وخندقها ثم انصرف الى مدينته .

وقال ياقوت في المعجم الرافقة بلد متصل البنـاء بالرقه وهما على ضفة الفرات وبينهما مقدار ثلاثمائة ذراع قال وعلى الرافقة سوران بينهما فصيل وهي على هيئة مدينة السلام ولها ربض بينها وبين الرقة وبه اسواقها وقد خرب بعض اسوار الرقة قال ياقوت هكذا كانت اولاً فاما الآن فان الرقة قد خربت وقلب اسمها على الرافقة وصار اسم المدينة الرقة وهي من اعمال الجزيرة مدينة كثيرة الخير (ثم قال) قال احمد بن يحيى لم يكن للرافقة اثر قديم انما بناهـا المنصور في سنة ١٥٥ على بناء مدينة بغداد ورتب بها جنداً من اهل خراسان وجرى ذلك على يد المهدي وهو ولي عهده ثم ان الرشيد بنى قصورها . وكان فيما بين الرقة والرافقة فضاء وارض ومزارع فلما قام علي بن سليمان بن علي والياً على الجزيرة نقل اسواق الرقـة الى تلك الارض . وكان سوق الرقة الاعظم فيما مضى يعرف بسوق هشام العتيق فلما قدم الرشيد الرقـة استزاد في تلك الاسواق وكان يأتيها ويقيم بها فعمرت مدة طويلة .

وفي القاموس قصر السلام للرشيد بالرقة .

وقال ياقوت في الكلام على هرقلة مدينـة ببلاد الروم كان الرشيد غزاها بنفسه ثم افتتحها عنوة ثم قدم الرقة في شهر رمضان فلما عيّد جلس للشعراء فدخلوا عليه وفيهم اشجع السلمي فبدر فانشد :

لا زلت تنشر اعياداً وتطويها تمضي لهـا بك ايام وتمضيها

العمران يتمتع سكانها باطيب العيش وارغده وانها اصبحت من قرون قاعاً صفصفاً ليس فيها احد لايأوى اليها الا بعض الطيور والوحوش والهوام. ترسل الدمعة تلوا الدمعة وتأخذ العبرة من نفسك مأخذها وتتحقق معنى قوله تعالى. كل من عليها فان. وان الملك لله الواحد القهار.

وبعد ان قضينا منها لبانتنا سرنا الى الدير الذي مركزه وهو في شمالها يبعد عنها رمية سهم فوجدناه كذلك خالياً خاوياً وهوا ايضاً عظيم البناء محكمه الا ان معاول الخراب قد اثرت فيه تأثيراً بيناً وفيه بعض الكتابات باليونانية ايضاً.

ثم اتجهنا نحو الشمال فوصلنا الرقة بعد العصر فشاهدنا فيها بقية آثار الدولة العباسية والدولة الايوبية.

بناء المنصور للرافقة

التي دعيت بعد ذلك الرقة وآثار الرشيد بها

قال الطبري في حوادث سنة ١٥٤ في هذه السنة عزم المنصور فيما ذكر على بناء الرافقة ولما اراد ذلك امتنع اهل الرقة واردوا محاربته وقالوا تعطل علينا اسواقنا وتذهب بمعايشنا وتضيق منازلنا فهم بمحاربتهم وبعث الى راهب في الصومعة هنالك فقال له هل لك علم بان انساناً يبني ههنا مدينة. فقال ان رجلاً يقال له مقلاص يبنيها فقال انا والله مقلاص.

وقال في حوادث سنة ١٥٥ وفيها وجه المنصور ابنه المهدي لبناء الرافقة فشخص اليها فبناها على بناء مدينة بغداد في ابوابها وفصولها ورحابها

الاطراف المنقطعة عن العمران والمفاوز التي لا ترى فيها عوجاً ولا امتاً ولا قرية ولا ماءً الا ما رأيناه في بعض الامكنة من بعض العرب الرحل . ولم نصل الى الرصافة التي تبعد عن حلب ٢٠٠ كيلو متراً الا وصارت الشمس في افق السماء وقبل ان نلقى عصا الترحال اطفنا بسورها العظيم المحيط بها من جوانبها الاربع وطول هذا السور ٥٠٠ متر وعرضه ٣٠٠ متر ثم عدنا الى بابها الاعظم وهو من جهة الشمال ولما رأيناه اكبرناه وتجلت لنا عظمة بنايتها واخذت الخشية منا مأخذها من ضخامة تلك الاحجار وعظم تلك العواميد واحكام ذلك البناء وهذه الحجارة مأخوذة من جبال شمالي الرصافة بينها وبين الرقة .

ثم دخلناها واخذنا بالتطواف في جهاتها الاربع فوجدناها خاوية على عروشها ليس بها احد البتة ورأينا صهريجها الاعظم وهو في غربيها واذا تأملت في اساطين ذلك وتلك القناطر المبنية تأخذك الدهشة من ارتفاعها وعظمتها وهناك ترى آثار البيوت والقصور وكلها خربة والارض جميعها حفر متلاصقة حفرت لاستخراج ما كان فيها من الاواني الخزفية وغيرها وفي شرقها كنيسة عظيمة من بناء الملكة هيلانة كانها قلعة حصينة الا ان بعض القناطر التحتانية هي بناء عربي وظهر لنا انها بنيت لاستمساك القناطر العليا الشاهقة التي خيف عليها السقوط . وفيها على بعض قواعد العواميد كتابة باليونانية ذكر فيها اسم المسيح عليه السلام . ولا ريب انك بعد ان تراها وترى ما هنالك من اثار الدور والقصور وتتذكرانها كانت زاهرة

بن محمد قال لما كثر الطاعون في زمن بني امية وفشا كانت العرب تنتجع البر وتبني القصور والمصانع هرباً منه الى ان ولى هشام بن عبدالملك فابتنى الرصافة . وكانت مدينة رومية بنتها الروم في قديم الزمان ثم خربت وكانت الخلفاء وابناؤهم يهربون من الطاعون فينزلون البرية فعزم هشام على نزول الرصافة فقيل له لا تخرج فان الخلفاء لا يطعنون قال او تريدون ان تجربوا فيّ فخرج الى الرصافة كون انها في البرية وابتنى بها بسبب ذلك قصرين واصلح بها صهاريج كثيرة . (ثم قال) وفي الرصافة دير مذكور للنصارى.

خراب الرصافة

قال ابن الشحنة . قال في الدر المنتخب ولما استولى التتر على حلب واعمالها في سنة ثمان وخمسين وستماية امنوا اهل الرصافة وابقوهم على ما هم عليه فلما كسر المسلمون التتر ولى عليها السلطان الملك الظاهر ابو الفتح بيبرس صاحب الديار المصرية والشامية والياً ولم يزل مقيماً بها الى سنة ثمان وستين وستماية اجلوا عنها وسكنوا سلمية وحماه وغيرها من البلاد ولم يبق بها احد البتة .

وقفة على الرصافة ودمعة عليها

بعد استراحة ساعة في مسكنة استأنفنا السير الى الرصافة على متون السيارات ولا بد لنا ان نقدم شكرنا لحضرة الوجيه الامثل السيد حسن بك نجل الوجيه احمد صديق باشا آل المدرس الذي تفضل ان يصحبنا في هذه الرحلة وهو ممن له تمام المعرفة بتلك النواحي وقد قالوا قتل ارضاً خبيرها فسرنا بدلالة ومعرفة فضرب بنا كبد البرية وتلك السهول المترامية

جماعة من اهل الثروة لانهم بين تاجر يسافر الى اقطار البلاد وبين مقيم فيها يعامل العرب وفيها سوق عدة عشر دكاكين ولهم حذق في عمل الاكسية وكل رجل فيها غنيهم وفقيرهم يغزل الصوف ونساؤهم ينسجن .

وذكرها ابن بطلان الطبيب في رسالة الى هلال ابن الحسن فقال وبين الرصافة والرحبة مسيرة اربعة ايام قال وهذا القصر يعني قصر الرصافة حصن دون دار الخلافة ببغداد مبني بالحجارة وفيه بيعة عظيمة ظاهرها بالفص المذهب انشأه قسطنطين بن هيلانة . وجدد الرصافة وسكنها هشام بن عبد الملك وكان يفزع اليها من البق في شاطئ الفرات . وتحت البيعة صهريج في الارض على مثل بناء الكنيسة معقود على اساطين الرخام مبلط بالمرمر مملوء من ماء المطر وسكان هذا الحصن بادية اكثرهم نصارى معاشهم تخفير القوافل وجلب المتاع . والصعاليك مع اللصوص . وهذا القصر في وسط برية مستوية السطح لا يرد البصر من جوانبها الا الافق ورحلنا منها الى حلب في اربع رحلات اه . كلام ابن بطلان قال ياقوت وكان ابن بطلان كتب هذه الرساله في سنة ٤٤٠ . وهؤلاء النصارى هم من بني تغلب ذكر ذلك ياقوت في الكلام على الرضاب . قال ثمة اوقع خالد باهل البشر في ايام ابي بكر رضي الله عنه ست عُطَف من البشر الى الرضاب وهو موضع الرصافة قبل بناء هشام اياها فانقشع من بها من تغلب فلم يلق كيداً . وفي الدر المنتخب نقلاً عن الكمال بن العديم انه نقل من كتاب ربيع الابرار في محاسن الاخيار وعيون الاشعار لابي احمد العسكري قال حدثنا هشام

الرصافة والرقة

من محاضرة قيمة لفضيلة الاستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ

عضو مجمع العاديات

« الرصافة »

قال في المعجم الرصافة مواضع كثيرة منها رصافة هشام بن عبد الملك في غربي الرقة بينهما اربعة فراسخ على طرف البرية بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام وكان يسكنها في الصيف . ووجدت في اخبار ملوك غسان ثم ملك النعمان بن الحارث بن الايهم وهو الذي اصلح صهاريج الرصافة وصنع صهريجها الاعظم . وهذا يؤذن بانها كانت قبل الاسلام بدهر ليس بالقصير ولعل هشاماً عمر سورها او بنى بها ابنية يسكنها .

وقال احمد بن يحيى واما رصافة الشام فان هشام بن عبد الملك احدثها وكان ينزل فيها الزيتونة . قال الاصمعي الزوراء رصافة هشام وفيها دير عجيب وعليها سور وليس عندها نهر ولا عين جارية انما شربهم من صهاريج عندهم داخل السور وربما فرغت في اثناء الصيف فلأهل الثروة منهم عبيد وحمير يمضى احدهم الى الفرات العصر فيجيء بالماء في غداة غد لانه يمضي اربعة فراسخ او ثلاثة ويرجع مثلها وعندهم آبار طول رشأ كل بئر مأة وعشرون ذراعاً واكثر وهو مع ذلك ملح ردىء وهي في وسط البرية ولبني خفاجة عليهم خفارة يؤدونها اليهم صاغرين وبالجملة لولا حب الوطن لخربت . وفيها